

المحاضرة رقم: 05

البحور الشعرية:

(معنى البحر/ عدد البحور الشعرية/ مفاتيح البحور/ خصائص بحور الشعر)

أولاً: معنى البحر الشعري:

البحر مفرد جمعه بحور وبحار وأبحر، ومعناه لغة: الشقّ والاتساع. يقال بحرثُ أذن الناقة: أي شققتها. ومعناه اصطلاحاً: التفاعيل المكرّر بعضها بوجه شعري.

إنّ البحر الشعري مصطلح أطلقه العروضيون على الوزن الشعري الذي يعدّ " أعظم أركان حدّ الشعر"؛ فجميع البحور الشعرية لا تخرج موازينها عن تفاعيل مخصوصة.

ويسمى البحر الشعري أيضاً البحر العروضي؛ وهو تكرار وحدة من التفعيلات بنسب متفاوتة، أو تكرار تفعيلة على نسق معيّن، يحدث هذا التكرار نغمة معيّنة تعتبر لحناً مميّزاً تنسب إليه القصيدة.

ومن هنا نستطيع القول إنّ البحر الشعري هو امتلاء البحر العروضي بالحيوية الدفّاقة من المعاني، التي تحتل فراغ التفعيلات أو تحيي جفافها بمعان على نغماتها.

ثانياً: عدد البحور الشعرية:

يجمع علماء العروض على أنّ عدّة البحور الشعرية ستّة عشر بحراً؛ خمسة

عشر منها اكتشفها الخليل بن أحمد الفراهيدي وهي: الطَّويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والزمل، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتقارب. وأمّا البحر السادس عشر فهو المتدارك ويسمى أيضا المُحَدَّث والخَبَبُ، وهو من وضع الأخفش الأوسط*.

وقيل في باب عدّة بحور الشعر العربي ما يأتي:

وَعِدَّةُ الْبُحُورِ سِتَّةٌ عَشْرٌ أَوَّلُهَا الطَّوِيلُ حَسَبَمَا اسْتَقَرَّ

وقد جمعها على الترتيب ابن سلام البيروتي في بيتين من أرجوزته المطولة في علمي العروض والقافية، إذ يقول:

طالَ مَدِيدُ البَّسْطِ وإِفْرًا كَمَلُ فَاهْزَجَ بِرَجْزٍ أَوْ بِرَمَلٍ
أَسْرِعُ سَرَاخًا خَفَّ ضَارِعًا واقتَضِبَ مُجْتَثَّ قُرْبِ مُتْدَارِكٍ تُصِبُ

وقد نظمها أبو الطاهر البضاوي فقال:

طَوِيلٌ يَمْدُ البَّسْطِ بِالْوَفْرِ كَامِلُ وَيَهْزَجُ فِي رَجْزٍ وَ يُرْمِلُ مُسْرِعَا
فَسْرَخٌ خَفِيفًا ضَارِعَا تَقْتَضِبُ لَنَا مَنِ اجْتَثَّ مِنْ قُرْبٍ لِتُدْرِكَ مَطْمَعَا
ويجمعها آخر في قوله:

طَوِيلٌ مَدِيدٌ فَالْبَّسِيطُ قَوَافِرُ فَكَامِلُ إِهْزَاجِ الْأَرَاكِزِ أَرْمَلَا
سَرِيعٌ سِرَاخٌ فَالْخَفِيفُ مُضَارِعُ فَمُقْتَضِبٌ مُجْتَثٌّ قُرْبَ لِنَقْضُلَا

ثالثا: مفاتيح البحور الشعرية

1- بحر الطويل:

- مفتاحه: طَوِيلٌ لَهُ دُونَ الْبُحُورِ فِضَائِلُ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُ
- وزنه: فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِلُنْ

* الأخفش الأوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت221هـ).

2- بحر المديد:

- مفتاحه: لِمَدِيدِ الشَّعْرِ عِنْدِي صِفَاتُ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُ

- وزنه: فاعِلَاتُنْ فاعِلُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلُنْ فاعِلَاتُنْ

3- بحر البسيط:

- مفتاحه: إِنَّ الْبَسِيطَ لَدَيْهِ يُبَسِّطُ الْأَمْلُ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُ

- وزنه: مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ

4- بحر الوافر:

- مفتاحه: بُحُورُ الشَّعْرِ وَاِفْرُهَا جَمِيلُ مُفاعِلَتُنْ مُفاعِلَتُنْ فَعُولُ

- وزنه: مُفاعِلَتُنْ مُفاعِلَتُنْ فَعُولُنْ مُفاعِلَتُنْ مُفاعِلَتُنْ فَعُولُنْ

5- بحر الكامل:

- مفتاحه: كَمُلَ الْجَمَالُ مِنَ الْبُحُورِ الْكَامِلُ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُ

- وزنه: مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

6- بحر الهزج:

- مفتاحه: عَلَى الْأَهْزَاجِ تَسْهِيلُ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُ

- وزنه: مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ

7- بحر الرجز:

- مفتاحه: فِي أَبْحُرِ الْأَرْجَازِ بَحْرٌ يَسْهَلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُ

- وزنه: مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

8- بحر الرمل:

- مفتاحه: رَمَلُ الْأَبْحُرِ تَرْوِيهِ التُّقَاتُ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُ

- وزنه: فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ

وترجع تسمية بحر الرّمل "رَمَلًا" لدخول أوتاده بين أسبابه، وضمّ بعضها إلى بعض؛ حيث أن كل جزء يتكون من سبب خفيف فوتد مجموع فسبب خفيف. وترجع أيضا لسرعة النطق به، وذلك لمتابع التفعيلة فيه؛ فالرّمل - لغة - هو الإسراع في المشي، وهو نوع من الرمال. ويقال: رَمَلَ النسيج يرمله رملا رققه ورمل السرير رملا زينه بالجواهر ونحوها، ورملت الحصير وأرملته فهو مرمول ومرمل إذا نسجته وصفته. ولعل التسمية جاءت من انتظامه كرمل الحصير.

يرى إبراهيم أنيس أن الرّمل من البحور "التي تذبذبت بين القلة والكثرة، يألفها شاعر ويكاد يهملها آخر...[وعده] من الأوزان المألوفة التي كانت الأذان تستريح إليها".

وفي موضع آخر يشير إلى أن الرّمل " هو ذلك البحر الذي ظلّ في أشعار القدماء خامل الذكر، حتى جاء العصر الحديث ونهض به نهضة كبيرة ".

وتذهب نازك الملائكة إلى أن الشعراء المعاصرين وجدوا في بحر الرّمل الموسيقى الخارجية التي " تنسجم مع تجاربهم، أكثر من غيرها من الأوزان الصافية".

ويذهب البعض* إلى أن سبب إقبال أصحاب الشعر الحر على تفعيلية الرّمل، هو ما في البحر من لين وسهولة، وكذا لجودته في التعبير عن حالات: الفرح والحزن والزهد...

والجدير بالذكر أن البحر في صورته المجردة، لا يحمل أيّة دلالة، إنّما يكتسب دلالاته بعد توظيفه في القصيدة، كإطار نغمي لها يمنحها "نغمتها الخاصة التي تتفق وحالة الشاعر النفسية".

9- بحر السّريع:

- مفتاحه: بحرٌ سريّعٌ ما له ساجِلٌ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُ

- وزنه: مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولاتُ

10- بحر المنسرح:

- مفتاحه: مُنْسَرَحٌ فِيهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولاتُ مُفْتَعِلُ

- وزنه: مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ

11- بحر الخفيف:

- مفتاحه: يا خَفِيفًا خَفَّتْ بِكَ الْحَرَكَاتُ فاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلَاتُ

- وزنه: فاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ

12- بحر المضارع:

- مفتاحه: تُعَدُّ الْمَضَارِعَاتُ مَفَاعِيلُنْ فاعِلَاتُ

- وزنه: مَفَاعِيلُنْ فاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ فاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ

13- بحر المقتضب:

- مفتاحه: اقْتَضِبْ كَمَا سَأَلُوا فاعِلَاتُ مُفْتَعِلُ

- وزنه: مَفْعولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

* ومنهم: حسين أبو النجا، في الإطار العروضي للقصيدة الجزائرية المعاصرة، ص50.

14- بحر المجتث:

- مفتاحه: اجْتَثَّتِ الحَرَكَاتُ مُسْتَفْعُ لُنْ فاعِلَاتُنْ

- وزنه: مُسْتَفْعُ لُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعُ لُنْ فاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ

15- بحر المتقارب:

- مفتاحه: عَنِ الْمُتْقَارِبِ قَالَ الْخَلِيلُ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

- وزنه: فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

16- بحر المتدارك:

- مفتاحه: أَخْفَشَ مُدْرِكٌ مَطْمَعًا نَائِلُ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ

ويسمى أيضا بحر المحدث:

- مفتاحه: حَرَكَاتُ الْمُحْدَثِ تَنْتَقِلُ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

ويسمى أيضا بحر الخبب:

- مفتاحه: حَبَبًا رَاحَتْ تَمْشِي الْإِبِلُ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

- وزنه: فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ

رابعاً: خصائص البحور الشعرية:

1- بحر الطويل: هو أكثر البحور الشعرية استعمالاً في الشعر العربي القديم خاصة، حيث يكاد ربع هذا الشعر أن يكون منظوماً على هذا الوزن. وقد رأى ابراهيم أنيس أنَّ القدماء كانوا يؤثرونه لكثرة مقاطعه، فهو يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة". وقد رأى البستاني أنَّ الطويل بحرٌ خِصْمٌ يستوعب من المعاني ما لا يستوعب غيره، فهو لا يسوغ نظمه في الأهازيج والموشحات والأغاني، وإنما يصلح للفخر والحماسة والتشابه، والاستعارات، وسرد الحوادث، وتدوين الأخبار، ووصف الأحوال".

2- **بحر المديد:** هو بحر قليل الاستعمال هجره معظم الشعراء، والذين استعملوه لم ينظموا إلا قصيدة أو قصيدتين على وزنه. وقد برّر أهل العروض ذلك بالثقل الموجود في هذا الوزن، غير أنّ بعض المحدثين رأوا فيه انسجاما وسلاسة وعذوبة.

3- **بحر البسيط:** هو من بحور الدرجة الأولى، حيث يكثر استعماله في الشعر العربي قديمه وحديثه. ولذا فهو يصنّف في المرتبة الثانية بعد الطويل فيما يخص نسبة استعماله في الشعر العربي القديم. وهو من البحور الطويلة، يمتاز بجزالة موسيقاه، ودقّة إيقاعه، وهو وإن كان لا يتسع مثل الطويل لاستيعاب المعاني، إلاّ أنّه يفوقه رقّة وجزالة؛ ولذا نجده أكثر توافرا في شعر المولّدين منه في شعر الجاهليين.

4- **بحر الوافر:** من البحور السباعية، وهو سليل الكامل، اعتبره صاحب الإلياذة ألين البحور، يشتدّ إذا شددته، ويرقّ إذا رققته، وأكثر ما يجوده به في الفخر والثناء. وهذا البحر - كما يرى عبد الله الطيب - إنّما يصلح للخطابة، وأكثر ما يجود في الاستعطاف والبكائيات والهجائيات والمدحيات، والنوادر والنكت التي تصدر عن الحذق والمهارة، وسرعة الخاطر.

5- **بحر الكامل:** عدّه البستاني "أتمّ الأبحر السباعية، وقد أحسنوا بتسميته كاملا؛ لأنّه يصلح لكلّ نوع من أنواع الشعر، ولهذا كان كثيرا في كلام المتقدّمين والمتأخرين، وهو أجود في الخبر منه في الإنشاء، وأقرب إلى الشدّة منه إلى الرقّة.

6- **بحر المتقارب:** المتقارب بحر "بسيط النغم، مطّرد التفاعيل مناسب، طبلي الموسيقى، ويصلح لكلّ ما فيه تعداد للصفات، وتلذّد بجرس من الألفاظ، وسرد للأحداث في نسق مستمرّ، والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته، فهو أقرب شيء فيه". وقال البستاني عنه أنّه بحر فيه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة، وهو أصلح للعنف منه للرفق".

7- **بحر المتدارك:** المتدارك وهو بحر لم يشر إليه الخليل، واستدركه تلميذه الأخفش. وقد رأى صفاء خلوصي أنّ هذا البحر "أكثر ما يصلح لإيراد نكتة، أو محاكاة وقع مطر، أو قعقعة سلاح، أو زحف جيش، وهو قليل في أدبنا القديم والحديث".

8- **بحر الرجز:** وهو أقرب الأبحر إلى النثر، لذلك يُعرف بجمار الشعر أو الشعراء لكثرة ما يتحمّل من تحويرات وتغييرات. قال عنه صاحب الإلياذة: "كان أولى أن يسمّوه عالم الشعر لأنّه، لسهولة نظمه، وقع عليه اختيار جميع العلماء الذين نظموا المتون العلمية كالنحو والفقه والمنطق والطبّ، فهو أسهل البحور في النظم، وجود في وصف الوقائع وإيراد الأمثال والحكم". قيل إنّ الرجز إنّما "يتلاءم مع التصفيق باليد أو النقر بالعصا، أو ركل الأرض بالأقدام، أو ترقيص الأطفال... ويمكن عدّه أصل الأنواع العروضية".

9- **بحر الرمل:** يتميّز الرمل "بنغمته الخفيفة المناسبة الرشيقة، له رنة عاطفية حزينة من غير كآبة، ولذلك فهو - بحسب أهل العروض - يصلح للأغراض الترنيمية الرقيقة، وللتأمل الحزين، ولا يتلاءم مع الصلابة والجلد والحماسة. وهو ما يختلف مع ذهب إليه خلوصي الذي رأى أنّه على الرغم من قلّة هذا البحر في الشعر الجاهلي، إلّا أنّنا نجد عنبرة العبسي في باب الحماسة ينظم فيه، ويُدع الحارث اليشكري في قصيدة من هذا البحر ضمّنها وصفا وسرداً*، و وجود هذا البحر أكثر ما وجود - بحسب رأيه - في الحزن والفرح والزهد وضروب الموشّحات.

10- **بحر الهزج:** الهزج قليل في الشعر العربي القديم، ولم يشع إلّا في العصر الحديث، حيث استحسّنه الشعراء في نظم المسرحيات، لطواعيته في بعض المواقف

* - يقول في مطلع هذه القصيدة: عجب خولة إذ تتكري أم رأّت خولة شيخا إذ كبر

التمثيلية. وقد رأى البستاني أنّ الهزج لا يصلح لنظم الإلياذة، وذلك لقصره، فهو "لا يجوز نظمه في ما خلا الأناشيد والتواشيح الخفيفة"

11- **بحر الخفيف:** الخفيف "أخفّ البحور على الطبع، وأطلاها للسمع، يُشبهه الوافر لينا، ولكنّه أكثر سهولة وأقرب انسجاما، وإذا جاد نظمه رأيتَه سهلا ممتنعا لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور. وليس في جميع بحور الشعر بحر نظيره؛ يصحّ للتصرّف بجميع المعاني. ولا أدلّ على ذلك من اختياره من قبل الحارث بن حلزة وزنا لمعلّقه المشهورة.

12- **بحر السريع:** هو من البحور القليلة جدّا في الشعر الجاهلي، يتّسم - كما يصرّح بعضهم - بالعدوبة والسلاسة، حيث يوجد في الوصف وتصوير الانفعالات.

13- **بحر المنسرح:** يمتاز هذا البحر على حدّ قول أحدهم - بالحركة المفتحة على اللامحدود، فهو يصلح للمعاني المتمكّنة من الباطن تمكّنا تظهر أعراضه، ثمّ تتّسع وتنبسط، ولكنّها تتماسك في انبساطها بشكل ينقل صلابة الأعماق، ويؤثّر في الأعالي. هذا بحر منسرح من الظاهر بشكل دائم التحوّل والتجدّد، لذلك لا يقف عند شاطئ معيّن، ولكنّه ينبع من الداخل، ولعلّه بسبب غنائيّته، لم يصلح للملاحم". كما أشار آخر إلى صلوح المنسرح في التهكم أكثر.

14- **بحر المضارع:** أنكر بعضهم وجود هذا البحر، وقال آخرون بندرتها، وأرجعوا ندرته إلى أنّه من الأوزان القصيرة التي تميل إلى الإسراع في توصيل الأفكار، لذلك كان ما ينظم فيه بعيدا عن التأمل، فتحاماه الشعراء قديما، فكان قليلا جدا. وأكثر ما يوجد هذا البحر - كما يقول أحدهم - في الموضوعات الرقيقة المرهفة، فهو بحر غنائي لا يصلح للجدّ كالحماسة، والفخر والهجاء.

15- **بحر المقتضب:** رغم ما قيل عن هذا البحر من إنكار لوجوده، أو القول بندرته، فإنّ المقتضب قد صنع له مريدين بداية من العصر العباسي، وذلك لأنّه يتميز

بخفته، فهو مستحلي في الطباع والسماع. وحسبنا قصيدتي أبي نواس: (حامل الهوى
تعب، وشوقي: (حفّ كأسها الحب) شاهدين على ذلك". أمّا صاحب الإلياذة فقد
رأى أنّه أنسب إلى الغزل والزهد والحكمة.

16- بحر المجتث: ولم يكن المجتث بأحسن حال عند النقاد القدامى فحازم يرى أنّ
المجتث والمقتضب الحلاوة فيهما قليلة على طيش فيهما". في حين لم يُنكر عبد الله
الطيب أنّ في المجتث رنة عذبة، وأنّه من الأبحر القصار القليلة التي يحسن فيها
تطويل الكلام للإطراب والإمتاع. وقد عرف المتصوفة هذه المزية له فأكثرُوا من
استعماله". ومع أنّ البحر قد صنع له مريدين في العصر العباسي إلا أنّ نسبة
شيوعه ظلّت ضئيلة، وفي العصر الحديث استعذبه الشعراء فأكثرُوا النظم على
وزنه، ولا سيّما في مسرحياتهم".